ديموقراطية الإنترنت والإعلام الجماهيري الجديد

الديمقراطية

كلمة ديمقراطية تعني وفقاً للمصطلح اليوناني حكم الشعب، وعلى الرغم من وضوح المعنى إلا أن التفسيرات التي طرأت على معنى الديمقراطية وكيفية حكم الشعب لنفسه جعلها من أكثر الكلمات غموضًا وشيوعًا في التداول الثقافي والشعبي، وكما قال عالم السياسة بيرنارد كريك "إن كلمة الديمقراطية هي أكثر الكلمات اضطرابًا وغموضًا، فهي مصطلح قد يعني شيئًا بالنسبة لكل شخص بحيث تكون هناك خطورة بأن تصبح الديمقراطية كلمة بدون معنى.

أما الدكتور سمير أمين فيقول في كتابة أزمة العقل العربي: "ليس مفهوم الديمقراطية مفهومًا علميًا يمكن بالتالي تعريفه تعريفاً وحيدًا دقيقاً لا يقبل المناقشة والشك، بل كلمة الديمقراطية هي مجرد تعبير لغوي مائع يتغير بتغير المتحدث والظروف. وبرغم ذلك فالإنسان - أي إنسان - يحس تمامًا إذا كان المجتمع المعين الذي يعيش فيه ديمقراطيًا حسب رأيه أم غير ديمقراطي، وينطبق ذلك على الفلاح الأمي كما ينطبق على المثقف المتغرب؛ ولكن مفهوم الفلاح لماهية الديمقراطية أو عدمها قد يختلف عن مفهوم المثقف".

ومن أبرز التطورات التي أثرت على الديمقراطية هي الثورة التكنولوجية والمعلوماتية. ومن أبرز من تناول هذا الموضوع بالدراسة الدكتور نبيل علي في كتابه الثقافة العربية وعصر المعلومات فيقول:

"من أبرز ملامح العلاقة المعلوماتية/ السياسية هو ما يتعلق بالديمقراطية مفهومًا وممارسة؛ حيث يزعم الكثيرون أن الإنترنت ستفضي إلى إعادة النظر في مفهوم الديمقراطية من أساسه. لقد وفر الإنترنت ساحة جديدة للرأي العام، تسمح بظهور أشكال جديدة للممارسات الديمقراطية؛ سواء في عمليات اتخاذ القرارات أو متابعة ما ينجم عنها من نتائج إيجابية أو سلبية".

أما ديمقراطية الإنترنت Internet democracy فيعرفها البعض بأنها: "المشاركة من مستخدمي الإنترنت في جميع أنحاء العالم على شكل هيئات غير حكومية، والتي تقوم بوضع سياسات الإنترنت أو ما يسمى بعقد التأمين والتي تقوم بحماية المعلومات الشخصية للمستخدم، وكيف يمكن استخدام هذه المعلومات الشخصية وغيرها من الوظائف".

ولاشك أن التحديات، والعقبات، والمشكلات السياسية، وحقوق الإنسان، والتطورات الدولية، والتوقعات الاقتصادية، والحروب والفتن، والفساد الحكومي، والنمو المتزايد في أعداد السكان؛ ومن ثم الزيادة في أعداد المهمشين سياسيًا، وزيادة الفجوة التكنولوجية، والتفاوت الكبير في مستوى المعيشة كان لها دور كبير في تشكيل وعي سياسي إلكتروني للشباب، ومستخدمي الإنترنت ليشكلوا فكرًا، ورأيًا معارضًا أو مؤيدًا، ولتنتج ممارسات ديمقراطية على الإنترنت كالتصويت الإلكتروني والحكومة الإلكترونية؛ ومن ثم الحديث عن أخلاقيات الإنترنت.

ويذكر الأستاذ جمال جمال محمد غيطاس في كتابه الديموقراطية الرقمية أن الديمقراطية الرقمية تعني "توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات الرقمية في توليد وجمع، وتصنيف، وتحليل، وتداول كل المعلومات والبيانات والمعارف المتعلقة بممارسة قيم الديموقراطية وآلياتها المختلفة؛ بغض النظر عن الديموقراطية وقالبها الفكري ومدى انتشارها، وسلامة مقصدها وفاعليتها في تحقيق أهدافها".

وينبغي هنا أن نشير إلى استخدام التصويت الإلكتروني سواء من خلال المواقع الإلكترونية أو بواسطة البطاقة الذكية.

وكان نمو المجتمعات الافتراضية أو التخيلية Virtual التي توفر بيئة للتواصل والتراسل الفعال من خلال التقنيات المستخدمة بشبكة الإنترنت دور كبير في تشكيل بنية معلوماتية لكثير من الحركات السياسية.

كما ظهر حديثاً ما يسمى بالعصيان المدني الإلكتروني، والذي نشأ كبديل عصري أو على الأقل موازللاحتجاج البدني. ويقوم ناشطو العصيان المدني الإلكتروني باعتراض التدفق المعلوماتي لمختلف الهيئات لشلها أو تعطيلها، ومنهم من يقوم بإرسال آلاف الرسائل الإلكترونية المنددة والمحتجة إلى شتى الجهات المعنية بصورة ضاغطة ومزعجة.

ومن الملفت للنظر أيضًا استخدام التقنيات الضارة التي يقوم بها الهاكر Hackers كالفيروسات وبرامج الاختراق وسرقة المعلومات لاستهداف أنظمة سياسية معينة يعتبر أيضًا وسيلة ضغط سياسي من قبل الجماعات الإلكترونية على الفيس بوك وغيره.

الديمقراطية والإعلام الجديد

كان للتطور الكبير الذي طرأ على وسائل الإعلام عمومًا، والصحافة خصوصًا ونشأة ما يسمى بالصحافة الإلكترونية دور كبير في تشكيل الوعي السياسي لمستخدمي الإنترنت ونعني بالصحافة الإلكترونية: "نوع من الاتصال يتم عبر الفضاء الإلكتروني الإنترنت وشبكات المعلومات والاتصالات الأخرى تستخدم فيه فنون وآليات ومهارات العمل في الصحافة المطبوعة مضافًا إليها مهارات وآليات تقنيات المعلومات التي تناسب استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيط أو وسيلة اتصال بما في ذلك استخدام النص، والصوت، والصورة، والمستويات المختلفة من التفاعل مع المتلقي؛ لاستقصاء الأنباء الآنية وغير الآنية ومعالجتها، وتحليلها، ونشرها على الجماهير عبر الفضاء الإلكتروني.

منحت الصحافة الإلكترونية فرصة جيدة للأفراد لمتابعة الأحداث فور وقوعها لما تتمتع به من سمات مميزة عن بقية وسائل الإعلام التقليدية، وخصوصًا بما يتعلق بالتحديث المتواصل، والسرعة، وهامش المساحة الكبيرة، والتفاعلية والحرية الأوسع في التعبير.

وتتسم الصحف الإلكترونية بعدد كبير من الخصائص أهمها:

١- إمكانية إرسالها وتعرض القارئ لها طوال اليوم، فيما ينتظر المتلقي يومًا كاملاً للحصول على العدد الجديد من الصحيفة الورقية اليومية.

٢- إمكانية متابعة الجديد من الأخبار الصحفية في أي وقت، وإمكانية إنتاجها بناءً على طلب المستخدم فيما يعرف بخدمة الأخبار عند الطلب، وتمكّن المستخدمين من اختيار المعلومات التي يريدون مطالعتها من بين المعلومات الكثيرة التي تقدمها الصحيفة.

٣- إمكانية تعديلها لتلبي حاجات المستخدم، ولا تحتاج إلى توزيع جماهيري تقليدي فيما عرف بشخصنة الصحف الإلكترونية، إذ يمكن لمنتج الصحيفة الإلكترونية أن يجهز قائمة بالأخبار التي يختارها المستخدم مسبقاً لتكون جاهزة للعرض فور قيامه بالدخول إلى موقع الصحيفة.

وكان لتداول الأخبار أيضًا من خلال الإمكانيات التي توفرها الشبكات الاجتماعية فرصة كبيرة لمعرفة الآراء والأفكار تجاه الأنظمة السياسية، ومن ثم نشأة معارضة تتخذ من أجهزة الكمبيوتر مقرات دعائية لها لتغيير الواقع السياسي المعيش.

وتتمثل معايير الجودة للمواقع الإلكترونية فى الآتي:

١- جودة المحتوى.
٢- سهولة التصفح والبحث.
٣- طرح مساحات التفاعل.
٤- الاعتماد على الوسائط البصرية والسمعية.
٥- القدرة على الوصول إلى المتصفح فى أى مكان فى العالم.
٦- قدرته على جذب عدد أكبر من المتصفحين، وبخاصة الباحثين عن مادة متخصصة مما يجعل الموقع قادرًا على المنافسة على المستوى الثقافي وليس على المستوى الترفيهي العام.

وبالنظر إلى هذه المعايير؛ نجد أن المواقع الرسمية، والحكومية فشلت في تطبيق هذه المعايير بينما نجحت جهات خاصة ومستقلة وغير رسمية في تحقيق نجاح باهر، ولعله من المفيد أن نذكر النجاح الكبير لمواقع إخبارية مما أدى إلى صعودها إلى مرتبة عالية في الاعتماد على الأخبار؛ بينما فشلت وسائل إعلام تدعمها حكومات ودول في تحقيق ذلك.

أما عن مستقبل الإعلام الجديد، أو بمعنى آخر، دمج الإعلام التقليدي في الإعلام الجديد؛ فهو شيء لا يمكن التنبؤ به في الوقت الحالي، اللهم إلا من خلال مؤشرات توضح، أنه لا مفر من السعي نحو الابتكارات الجديدة والتقنيات المتميزة، في ظل عالم يشهد كل ساعة اختراعًا علميًّا جديدًا، ولا بد للوسائل الإعلامية القديمة من أن تواكب المستحدثات في المجال الإعلامي، الذي يسير حاليًا في ركب التكنولوجيا والشبكات الاجتماعية، والاتجاه نحو العالم الافتراضي.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أهمية تجديد الخطاب الإعلامي، في ضوء الأحداث المتلاحقة عربيًا وعالميًّا، وأهمها نتائج الثورات العربية، ومستقبل الشرق الأوسط، والعلاقات الدولية في المرحلة القادمة.

أما أخطر التحديات التي يواجهها الإعلام بنوعيه: التقليدي والجديد، فتكمن في خضوعه لسياسة توجيهية، تحد من الحرية، ومسؤولية الكلمة وأمانة النشر، وهو ما يتعارض مع مواثيق الشرف الإعلامي. وما بين المستقبل والتحديات، تكمن الرغبة نحو السعي لإجراء حوار إعلامي – مجتمعي سياسي – لاستشراف أبعاد تلك العلاقة، وتطوير أداء المؤسسات الإعلامية في ظل ثورة الإعلام الجديد.